# البحوث

## شاعر من الجزيرة العربية
## حاتم الطائي القيم الخلقية في شعره
## دراسة اجتماعية فنية

الدكتور فالح حمد احمد
كلية التربية / جامعة البصرة

### في تعريف الاخلاق والادب والصلة بينهما

قد يبدو للوهلة الاولى ان مفهوم الاخلاق مقتصر في دلالتة على الافعال المحمودة . فقط او مايستحسن من السلوك الانساني المتوافق مع العرف العام ، بيد انه لما كانت الاخلاق هي مجموع قواعد السلوك فانها بذلك تطلق على جميع الافعال الصادرة عن النفس محمودة كانت او مذمومة واذ اطلق على الافعال المحمودة فقط ، دل على الادب ، لان الادب لايطلق الاعلى المحمود من الخصال[١].

وفي بحثنا هذا لانريد ان نركز الاعلى المحمود من هذه الخصال لان هذا المحمود هو الذي ينظم حياة الانسان تنظيماً علميا يعرب في اغلب الاحيان (عن عواطف الناس وعاداتهم وتقاليدهم الذائعة بلغة المثل الاعلى والغاية القصوى )[٢]. أي ان القيمة الاخلاقية ترتبط بالسلوك المتوافق مع عواطف الناس وعاداتهم وتقاليدهم ، ولذلك فكل ماتتضمنه فكرة البحث الخلقي –هنا – يعود الى كل مافيه خير او كل ماهو مرغوب به عند الانسان ، أي افعاله التي يسعى اليها عن وعي وادراك وفق قيم الخير السائدة في مجتمعه وزمانه . وهكذا كانت المعضلة الاخلاقية عند اليونان فقد كان الخير هاجس افلاطون وهو يؤسس جمهوريته المثلى وعلى ضوئها فهم الجمال فهما اخلاقيا ، بمعنى انه الخير [٣].

ولو تركنا بلاد اليونان واتجهنا الى الجزيرة العربية لوجدنا مفهومين متلازمين : الاخلاق والادب، وان كانت الكلمة الثانية استعملت لتدل على الحكم القصار ، والجمل التي تحث او تعبر عن المعاني الخلقية (٤).

وعلى هذا الاساس فقد فهم العرب الاخلاق بانها الخصال المحمودة التي انضجتها بيئة العربي التي اسهمت كذلك في بناء شخصيته المتميزة ، مثل الشجاعة والعدالة والصبر والحكمة والعفة والحلم ، والكرم، وقرى الضيف ، وحماية الجار ، والوفاء والباس ، والنجدة ، والحمية ، وغيرها...

اما الادب فهو (الخلق) ، وهو في الاصطلاح ملكة تعصم من قامت به عما يشينة ... وهو تعلم رياضة النفس ومحاسن الاخلاق ...

قال ابو زيد الانصاري : الادب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل ...وهو استعمال ما يحمد قولا وفعلا او الاحذ او الوقوف مع المستحسنات او تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك .(٥).

وقيل : الادب حسن الاحوال ... واجتماع الخصال الحميدة وهو عند اهل الشرع: الورع وعند اهل الحكمة :الخلق على بساط الصدق ومطابقة الحقائق (٦).

وقد كانت مفردة الادب في عصر ماقبل الاسلام تدل على : المعنى النفسي الذي ينطوي فيه وزن الاخلاق ، وتقويم الطباع والمناسبة بين اجزاء النفس في استوائها على الجملة (٧).

ومن تلك المناسبة وهذا الاستواء تبنى شخصية العربي الخلقية التي زانها التثقيف والتعليم في عصر صدر الاسلام حتى قال الرسول (صلى الله عليه وسلم "ادبني ربي فاحسن تاديبي "(٨).

ومن ذلك كان الادب مشتملاً على (التهذيب الخلقي) ، ويرى الاستاذ احمد الشايب (٩) ان المعنى التهذبي لمادة الادب قد تحدد منذ اواسط القرن الاول للهجرة ، وصارت تودي معنيين:

-احدهما : المعنى الخلقي التهذيبي ،وهو مراعاة الفضائل الاجتماعية والشيم الكريمة من حلم وكرم وشجاعة وصدق ...

- والاخر :هو المعنى التعليمي القائم على رواية الشعر والنثر ومايتصل بهما من نسب وخبر وافعال ومعارف .

وعندما تطورت دلالة هذاه المفردة في اواخر القرن الثالث الهجري واصبحت تطلق على "الشعر والنثر ومايتصل بهما ..."(١٠) ، كانت تشمل ايضاً "كل اسلوب مستحسن في علم او عمل من خلق فاضل وسيرة محمودة "(١١)

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على الصلة الوثيقة بين الادب والاخلاق التي بدورها تعبر عن العلاقة بين الادب والمجتمع في ترسيغ اطاره التاريخي في المجالات الاجتماعية والسياسية والفكرية بالاضافة الى تعبيرها عن افراحه واحزانه .

وتتجسد هذه الصلة في الدلالة وفي غاية كل منهما " فالعواطف الفاضلة من عوامل الاخلاق الكريمة ، والاسس الخلقية حمى للادب يقيه السقوط ، ويحتفظ له بمستوى عالٍ نبيل او كلاهما مضطر ان يعرض لخير الحياة يقويه او لشرها يعالجه ، ولايحق للاديب التغافل عن طبيعة الشرور ونتائجها والاكان كاذباً منافقاً يتأذى به الادب والاخلاق ،فكلاهما يتطلب الصدق والصواب " (١٢)

## وظيفـــة الشعر توجيه وامتـــاع

ومن دواعي البحث في مثل هذا الموضوع هو توظيف الادب في تربية ابناء المجتمع وتنشئتهم ،وقد تجلى لنا ذلك في ما لمسناه من صلة وثيقة في المعاني الخلقية والتربوية التي يودي اليها كل منى الاخلاق والادب وبذلك يقدم الادب الجانب التربوي والاخلاقي فضلاً عن الافادة والتاثير لانه يصور مافي نفس الانسان من فكر او عاطفة او حادثة هامة لها مغزاها ثم ينقل ذلك الى نفوس القراء فيعينهم على فهم الحياة ويوقظ مشاعرهم السامية القوية ويوجه نفوسهم الى الغايات الانسانية النبيلة "(١٣) .

فوظيفة الشعر اذن ليست الامتاع فقط ، بل هي التعليم والفائدة لان الشعر ليس زينة او ترفاً باذخاً (١٤). وانما يجب ان تكون الفائدة له وظيفته الاجتماعية لانه المعبر الحقيقي عن المجتمع من جهة ، واداة التاثير فيه من جهة اخرى ، فعليه ان يقوم بمهمة توجيه ابنائه وتنشئتهم تنشئة اخلاقية قومية .

ويذهب الدكتور محمد النويهي الى تقسيم الانتاج الادبي الى اربعة اصناف عامة (١٥). نستنتج منها ان الحكم النقدي- لديه- لايتم الااذ ادخل في تقديره الهدف الاخلاقي .

وهذا مايذهب اليه ايضا الدكتور احسان عباس، حيث يرى ان العلاقة بين الفن والاخلاق قائمة في عدة مواطن واول هذه المواطن يتصل بطبيعة العمل الفني نفسه حين نعده تعبيرا او نقلا لعواطف معينة (١٦)بل يؤكد بعضهم " ان ادبا لاياخذ بنظر الاعتبار السلوك الاخلاقي وزيادة درجة حساسية الروح وهو شيء لايمكن تصوره " (١٧). وعدوا الادب الراقي هو ذلك الادب

الذي له " صفة اخلاقية ويجب ان يثير مشاعرنا الصحيحة لاالمريضة وينمي طبيعتنا...ومن الحمق ان نعد فنانا راقياً من لم يصبغ فنه بالصبغة الخلقية"(١٨).

وقد حاول بعض النقاد اضافه " التعبير والتصوير والتوصيل " (١٩) ، في تحديد الغرض الذي يرمي اليه الادب، ورأوا ان الهدف لايتجاهل مواصفات الاخلاق ، لان الشعر يتضمن الفائدة والامتاع ، كما راوا هذا التمازج والاندماج بين فائدة الشعر الاجتماعي ، والتربوي من جهة ومايوفره من متعة فنية من جهة اخرى أي أن نفع الادب هو نفع مفعم بالامتاع . (٢٠).

ومن ذلك نعتقد ان غاية كثير من الشعر هي :" التوجيه من خلال الامتاع (٢١). ودور الشاعر هنا ، هودور تربوي يقوم على الارشاد ولان الشعر نتاج لجانب من احسن جوانب النفس الانسانية فانه قادر على ان يقدم مستوىً جمالياً عالياً (٢٢). فالشاعر يسعى من خلال ابداع القصيدة الى التأثير في السامعين "فغاية الشعر هي التاثير (٢٣). والتاثير يعني تغيرا في الاتجاه وتحولا في السلوك ومن خلال هذا التغيير في الاتجاه ، وهذا التحول في السلوك نصل الى تحقيق الغاية المنشودة من الصلة الوثيقة بين الادب والاخلاق في تربية الجيل وتنشئة الابناء ...

## القيم الخلقية الشائعة في عصر ما قبل الإسلام

كان العرب وحكماؤهم يوصون من ينتمون اليهم باواصر النسب والقرابة والدم بالتحلي بالاخلاق الفاضلة والتمسك بالقيم والمثل العليا التي تجسدت في سلوكهم وعلائقهم الاجتماعية وتبلورت في مواقفهم ووقائعهم . وقد اثر عن اكثم ابن صيفي –حكيم العرب –انه قال "ذللوا اخلاقكم للمطالب وقودوها للمحامد وعلموها المكارم ولاتقيموها على خلق تذمونه من غيركم وصلوا من رغب اليكم وتحلوا بالجود يكسبكم المحبة ولاتعتقدوا البخل تتحلوا الفقر "(٢٤). وقد فضل العرب السمعة الطيبة والثناء على الاموال والانعام لما لها من اثر كبير في سلم المراتب الاجتماعية فقد جاء ان احمد بن جندل وقع اسيرا بيد صعصعة بن محمود بن عمرو ابن مرشد فاطلق سراحه صعصعة اكراما لاخيه الفارس الشاعر سلامة بن جندل فبعث سلامة شعرا الى صعصعة يخبره بقبول الفدية او المدحة فقال :

فان شئت اهدينا ثناًء ومدحة
وان شئت عدينا لكم مئة معاً (٢٥).

فقال صعصعة : المدحة والثناء احب الينا . وكان العربي يحرص اشد الحرص على سمعة قبيلته ورهطه ، ويبذل كل شيء من اجل الحفاظ على ماثر قومه ، ولما كان مرتبطا معهم باواصر النسب والمصير وجب عليه الابتعاد عن الفواحش ومواطن الريب لئلا يمس سمعتهم مايسيء اليهم فيعابوا بسببه وينتقص من قدرهم بمغبة لذلك قال الحادرة :

ووجدت ابائي لهم خلف عف الشمائل غير ذي دخل [٢٦].

وقد اجمل ذو الاصبع العدواني -فيما وصل الينا وماينسب اليه -القيم الخلقية والاجتماعية في وصيته لابنه اسيد ، فهي الدليل والشاهد وهي لاشك تصوير صادق لمجتمع العرب في الجاهلية سواء قالها ذو الاصبع ام غيره لان وصاياهم واشعارهم صورة لحياتهم الاجتماعية فقال :( الن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ولاتستاثر عليهم بشيء يسودوك ، واكرم صغارهم واسمح بمالك واحم حريمك واعزز جارك واعن من استعان بك وكرم ضيفك ، واسرع النهضة في الصريخ ، فان لك اجلا لايعدوك وصن وجهك عن مسألة احد شيئاً فبذلك يتم سؤددك ثم انشأ يقول :

أأسيد ان مالاً ملكـ ت فسربه سيراً جميلا
اخ الكرام ان استطعـ ت الى اخائهم سبيلا [٢٧].

والحفاظ على الجار سجية خلقية تضفي على من اتصف بها هالة من الاجلال والهيبة لذلك طرقها الشعراء ، واضفواها على ممدوحهم ... والجار غزيز عند العربي لايحمله منه ولااذى لحمايته بل هو جزء من كيان رهطة وقبيلة يدافع عنها ويحميه كانه ذمة وعهد في قبيلته ، قال ملك بن ابي كعب الخزرجي :-

علي لجاري ماحييت ذمامة
واعلم ماحق الرفيق على الصحب[٢٨].

وكان للعفة والاباء والكف عن المحارم والابتعاد عن مواطن الريب والزلل والدفاع عن العرض منزلة عظيمة في نفوس العرب تمسكوا بها قيماً خلقية ، وافتخروا بها عند المنافرة ومدحوا من تخلق بها لانها دالة على نيل الخلق وسموة ، لهذا عندما تنافر علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل ، قال علقمة لعامر " انا افضل منك انا عفيف وانت عاهر ، وانا وفي وانت

غادر ، وانا ولود وانت عاقر ، وانا ادني الى ربيعة " [٢٩]. وكان مما فضل بسطام ابن قيس على عامر بن الطفيل وعتبة ابن الحارث بن شهاب ان بسطاماً كان فارساً عفيفاً جواداً وكان عتبة فارساً عفيفاً بخيلاً ، وكان عامر فارسا عاهرا ، فاجتمعت في بسطام ثلاث خصال شريفة ففضلها "[٣٠]. وكان جل مايسعى اليه العربي ويدافع عنه هو ان يبقى عرضه نقياً لايشوبه شائبة وان يحافظ على اعراض الاخرين قال المثقب العبدي :

نعد لايام الحفاظ مكارماً فعالا واعراضا صحيحا اديمها [٣١].

وقد كان للبيئة والظروف الاقتصادية الصعبة ، كانقطاع المطر وجفاف السيول وجدب الارض ابلغ الاثر في ظهور قيم ومثل عليا تمسك بها العرب لمجابهة مايهدد حياتهم وبقاءهم وليخففوا من وطأة القحط ومايسببه من دمار وهلاك لهم ولانعامهم ، لذلك تجلى السخاء قيمة خلقية تحمل مسوغات وجودها لانها ترفد العربي باسباب الحياة التي انقطعت بسبب الجدب "[٣٢]. حتى قال قصي بن كلاب "لا اعلم مكرمة عند العرب اعظم من الطعام "[٣٣]. ، ولكن السخاء باعلى مراتبه وصورة يتجلى في سنيء الجذب فيتخذ مساراً اخر اسمى واجل لانه عطاء عند العوز والحاجة وقلة الطعام ، لذلك قال زهير بن ابي سلمى يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف المريء :-

اذا السنة الشبهاء بالناس اجحفت ونال كرام المال في السنة الاكلُ
رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا نبت البقل *

وبعضهم جعلوا الشمس دليلاً على سخائهم فكانت قدورهم تغلي عند مطلع كل شمس فعرفوا وسموا " رعاة الشمس " [٣٤]. وكان لبيد بن ربيعة " يطعم ماهبت الصبا ، وكان المغيرة بن شعبة اذا هبت الصبا قال :- اعينوا ابا عقيل على مروءته "[٣٥]. وهكذا اخذ العرب يتفاخرون ويتمادحون بالسخاء الذي اصبح مأثرة وقيمة من قيم السيادة والسمعة والمنزلة الاجتماعية .

## حاتـــم الطائـــي داعيـــة اخلاقي عـــام

وهذه الصفات الخلقية الحميدة الانفة الذكر تتجلى باحسن صورها في شعر شاعرها ، "حاتم الطائي " فكان صوته داعياً الى اعزاز الانسان بوصفه "قيمة عليا " ، فكانت تتراءى في شعره

صور انسانية خالدة تجاوزت حدود الزمان والمكان،لمادعا اليه من مبادى سامية ومثل عليا ، مادتها (مكارم الاخلاق ) وسبيلها التضحية السخية والعطاء الكريم بلا تمنن ...

وقد وصفته سفانة ابنته يوم قامت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترجو ان يخلي عنها وهي سبية ،قالت : كان ابي يفك العاني ويحمي الذمار، ويقري الضيف ويفرج عن المكروب ،ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط . فقال (ص) :(( ياجارية هذه صفة المومن ، لو كان ابوك اسلاميا لترحمنا عليه ،خلوا عنها ،فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق )) (٣٦)

ولكن نفهم صفة "مكارم الاخلاق" المنبئة من خلال حاتم ، يجب ان ننظر في اصل الكرم لنرى طبيعة مادته ، ذكر ابن فارس :(( الكرم )) له اصلان ، معنوي ومادي اما المعنوي _وهو ما يعنينا _فهو " شرف في الشيى نفسه او شرف في خلق من الاخلاق "(٣٧) وكان ابن الاثير اكثر توفيقاً في تعريف الكرم ودلالته قال: "الكريم الجامع لانواع الخير والشرف والفضائل"(٣٨)

فالكرم اذن ليس هو الجود بالمال فقط،وان سمي الجواد كريماً ،ولاهو عتق السلالة فحسب ، وان سمي الشريف النسب كريماً ،ولا هو اتيان حميد الفعال والتحلي بجميل الشمائل كالعفو والتسامح ،وان سمي الصفوح كريماً .(٣٩) ولكن (الكرم) : هو جماع كل ذلك(٤٠) . لاسيما اقتران الفعل الجليل بالعطاء السمح:-قال رسول اله (ص):-"ان الله يحب الجواد ومكارم الاخلاق"(٤١) . فقرن عليه السلام بين اعطاء المال واتيان بنيل الافعال، وقد مر بنا قول اكثم بن صيفي (٤٢)، فربط ايضا بين الشمائل المحمودة والسخاء بالمال . ومن صفات الله تعالى واسمائه :الكريم ، أي " الكثير الخير والجواد المعطي " (٤٣) وعلى هذا الاساس فديوانه بالحق -ديوان مكارم الاخلاق او ديوان الانسانية التي تتسامى ولاتهبط ... ولاجرم ان اللسان ترجمان القلب والشعر مراة الشعور ، من هذا المفهوم نجد ان شعره ينبض باخلاقه الكريمة بل ينبض بالخصال الحميدة التي تزخر بها نفسه ، ويفض بها لسانه غير مفتخر حتى قال عنه ابن الاعرابي : " جوده يشبه شعره "(٤٤) فعندما نتأمل ديوانه نجده يفيض بالشعر الاخلاقي الذي يكاد ينصب على القيم الخلقية النبيلة التي يسعد بها المجتمع .

فنلاحظه قد ابتعد عن الفخر بنفسه ، فهو لم يشير اليها في شعره لغرض شخصي وانما ذكرها ليعلم الناس ويربي ابناء المجتمع على اساس خلقي يتجسد في سلوكهم وتصرفاته الشخصية ، فهي اخلاق اجتماعية تطلع الى روح انسانية عامة تتمثل في الترفع عن الدنايا واغاثة الملهوف ومساعدة الضعيف والشجاعة والوفاء والصفح والصدق والتواضع والاباء وغيرها ، من كريم الفعل وحسن الخصال ، وتلك -جميعا - صفات توحي الى توجيه القدرات

الاجتماعية والفكرية للابناء فقد كان حاتم حريصاً على ان تشيع في المجتمع ليتربى عليه النشء الجديد لاستكمال صورة الحياة السعيدة .

وهذه القيم متجسدة في افعاله قبل ان ينطق بها لسانه ، وان جرت على لسانه فهو لم يقلها مفتخراً وانما كان مربيا فجاءت مرسلة على لسانه طبيعية غير متكلفة لما يحمله من صدق وايمان عميق بمصلحة المجموع .

وفيما ارى ان حاتما خرج باسلوبه هذا المطعم بالحكم والعبر والامثال عن حقيقة المعاني اللغوية الى المعاني المجازية لان اسلوبه كان اسلوب موحياً فكان يوحي بالغرض التربوي الاجتماعي الذي ارسى بوساطته قيم تربوية من خلال سلوكه الفعلي المتحقق فما اكثر ماتكلف في سبيل قومه يدعوهم الى تلبية الدعوة واغاثة الملهوف فيقول :

وداع دعاني دعوة فأجبته وهل يدع الداعين الا اليلندر(٤٥).

فهو صادق مع الناس لايخلف معهم موعدا ولايرفض لهم طلبا فنفسه هبة لعمل الخير ونشر الفضائل بين ابناء مجتمعه وقومه فأراد ترفعهم عن كل دنيئة واحب ان يشيع بينهم التعاون والتازر فقال :

ومامن شيمتي شتم ابن عمي وما انا مخلف من يرتجيني (٤٦).

وكان حاتم محب لقومه قائماً بامرهم وموكل بقضاء حاجاتهم فكان يتكلف مايفوق قدرته ، ومن طريف امره هذا : عندما وفد على النعمان ابن المنذر واكرمه مالا كثيرا ، فالما اشرف على اهله تلقته أعاريب طيء ، طامعة في سخائه وعطاياه فقال لهم : هلموا فاخذوا مابين يدي فتوزعوه ، فوثب القوم فانتهبوا مامعه ولم يتركوا له شيئا .(٤٧) فلم ينكر ذلك عليهم وحسبه شرفا انهم قصدوه ، فقال :

واني لاعطي سائلي ولربما اكلف مالااستطيع فاكلف (٤٨).

ولما قيل له:-ابق على نفسك فقد رزقت مالا ولاتعدون الى ماكنت فيه من الاسراف قال:-

فقلت : دعيني ، انما تلك عادة لكل كريم عادة يستعيدها(٤٩).

فتلك صورة مما اصر ان يعودهم عليه ، لان هذا الخلق كان طبعا فيه وشيمة من شيمه وسجية من سجاياه المتأصلة .

ومن تلك القيم الخلقية النبيلة التي اراد حاتم ان يربي عليها ابناء مجتمعه هي ان يعتز العربي بقومه فيشاركهم مشاعرهم في الافراح والاتراح وان يفتخر بهم ويشعر بالانتماء اليهم ولايرضى بهم بديلا :

بنو ثعل قومي ، فما انا مدع سواهم الى قوم، وماانا مسند(٥٠).

وكان حاتم يجسد هذه القيم لمواقفها السليمة الخاصة بقومة من خلال سلوكه القويم ، فقد كان له موقف خاص من الخلافات الداخلية التي كانت بين جديلة وكعب وبين ثعل قومه حتى سمي الزمن الذي وقعت فيه الحرب بينهما بزمن الفساد ، فاعتزل هذه الحرب (٥١). ونزل على حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري (٥٢). وفي ذلك يقول :

ان كنت كارهة لعشيتنا هانا فـــحلي في بني بدر
جاورتهم زمن الفساد فعم الحي في العوصاء واليسر (٥٣).

وهذا موقف ان دل على شيء فانما يدل على حبه اشاعة السلام ين ابناء قبيلته والعرب جمعاء بل هو موقف يدل على قيمة تربوية خلقية ينشأ عليها ابناء المجتمع وهم متحابون ينعمون في جو مفعم بالمحبة والوئام والتفاهم فكان يكره العنف ويعزف عن الشر وكان يقول لابنه عدي:" اذ رايت الشر يتركك ان تركته فاتركه"(٥٤). ونحن نقدر فيه هذه الفضيلة حين ننظر الى قيم العصر الذي عاش فيه حاتم (٥٥) ، فهو عصر يتسم بالقوة المستمدة من الطبيعة الصحراوية الجافة وبالرغم من ذلك كان يدعو الى استجارة المستجير ونصرة المظلوم ويرجو ان يمثل ابناء مجتمعه المبادىء الانسانية السامية فيما يتعلق باسير المعركة وعدم قتله وعدم قتل واحد امة وغيرها ،فقال :-

امـــاوي انـــي رب واحد امه اجـــرت فـــلا قتل عليه ولااسر
ولااظلم ابن العم ان كان اخوتي شهوداً وقد اودي باخوته الدهر (٥٦).

ولان حاتماً يكره الظلم والشر ، فهو يقف بجانب المظلوم اذا ثبت لحاتم انه قد ظلم ولو اداه ذلك الى المحاربة بسببه :

سانصره ان كان للحق تابعاً وان جار لم يكثر عليه التعطف
وان ظلموه قمت بالسيف دونه لانصـــره ان الضعيف يؤنف (٥٧).

ومن كريم فعاله انه كان متواضعا ، فكان يعترف بسيادة من يرى في تسويده حقا ومنفعة لقومه

اسود ذا الفعال ولاابالي على ان لااسود اذا كفيت (٥٨).

وبلغ من خلقه الجميل ، انه كان يكره ان يركب ناقته بينما صاحبة يسير على قدميه ، فاذا كان بالناقة قوة وجلد اردف صاحبه والافيتعاقبان الركوب:

اذاكنت رباً للقلوص فلاتدع رفيقك يمشي خلفها غير راكب
انخها فاردفه ، فان حملتكما فذاك ، وان كان العقاب فعاقب(٥٩).

فضلا عن ذلك كله نجد ياتي بالحكم والعبر والامثال باسلوب موحي يجسد به حقائق يرجوا ان يلتزم بها الانسان في المجتمع لانها تحميه وتجنبه الشر ، وتجعله مثالاً يقتدى به فراح ينشدها بشعره ليواصلها في نفوس ابناء مجتمعه ، ومن ذلك ايمانه بحقيقة اكيدة، هي ان الانسان الذي لايكرم نفسه لايجد من يكرمه ويقدره وبذلك يقول :

فنفسك اكرمها فانك ان تهن عليك ، فلن تلقى لها الدهر مكرما (٦٠).

ومن فضائله الكريمة الاخرى الصدق فكانت ماثره الحسان يتوجها صدق الحديث مع الناس فنلتمس منها هذا النصح والارشاد قيما تربوية جسدها في شعره حين قال :

فاصدق حديثك ان المرء يتبعه ماكان يبني اذا ما نعشه حملا(٦١).

وكان الوفاء صفة ملازمة للرجل الصدوق، اشارة اليه في قوله :

انا المفيـــد حاتم بن ســـعد اعطي الجزيل وافي في العهد
وشيمتي البذل وصدق الوعد واشتري الحمد بفعل الحمد(٦٢).

وفيما يوحيه النص السابق الذكر ان حاتماً لم يكن مفتخراً او متفاخراً بنفسه ــ فيما ارى ــ ولكنه كان يدعو الناس الى ان يتمثلوا هذه القيم الخلقية النبيلة المتمثلة بالوفاء والصدق والعطاء

السخي وان يلتزموا بها لاشاعة الجوانب التربوية التي ينبغي ان يتعودها ابناء المجتمع ويتربوا عليها.

وكان حاتم حليماً ،يغفر زلات قومه ،استبقاء لودهم ،فكان يصفح عن مسيئهم ،ويدرك ان الحم كفيل برد فعل تربوي يعود ببناء مجتمع يسوده الوئام والتفاهم بتوفر معالجة تربوية ملؤها القناعة التي تودي الى السلوك القويم فيطالعنا بحكمة اخرى فيقول : عود نفسك الحلم حتى تصبح حليما :

تحلم عن الادنين واسبق ودهم
ولن تستطيع الحلم حتى تحلما (٦٣)

ونجده ينصح بمجاورة الكريم ويحث على صحبته والاستفادة من خصاله الشريفة وشمائلها الحميدة وعاداته الاصيلة فيضيف حكمة اخرى :- فيقول

فجاور كريما واقتدح من زناده
واسند اليه ان تطاول سلما (٦٤).

كما نجد حبه العميق لمكارم الاخلاق جعله يميل الصفح والغفران، فقد عود نفسه الزكية على كريم الفعل فنراه يسترسل في حكمة وعبره يدعو الى الصفح عن شتم الئيم حفاظاً على كرامته واثباتاً لعقله ودلالة على دهائه ونجد في الوقت نفسه يغفر زلة الكريم ابقاء له وادامة لعلاقته به لان ضياع الرجل الطيب الكريم لايعوض ، فيقول

واغفر عوراء الكريم اصنطاعة
واصفح عن شتم الكريم تكرماً (٦٥).

والعفة طبعا في حاتم ، والعفة هي:-"الكف عما لايحل ويحمل من المكارم والاطماع الدنية "(٦٦). وحاتم عف عن كل ما يشين : ففي الوقت الذي نجد فيه طرفة يعد صلة النساء ( أحدى ثلاث لذات من عيشة الفتى ويتبجح الاعشى حتى يصيب من الرجل غفلة فينال من امراته ، وهو القائل " فرميت غفلة عينه عن شاته" ويتجاوز امرو ء القيس الاحراس الى المراة وانه لم يقم لزوجها وزنا . نجد حاتماً يدعوا الى التسامي على كل هذه الفعال فهو على مبلغ من استحياء

جاراته يحافظ على شرفهن ، ولايخدش حياءهن ويدرأ شبهة التقرب اليهن فنراه يدعوا الى التمسك بمثل هذه القيم وترويجها بين ابناء مجتمعه فيقول :

وما انا بالماشيء الى بيت جارتي طروقا احييها كاخر جانب(٦٧).

وبذلك فهو يبحث عن الاسلوب التربوي الذي يستكمل صورة الحياة السعيدة للمجتمع فنراه يدعو الى الترفع عن الدنايا فيحفظ عرض جاره ويصونه عند غيابه ، وبذلك يقول:-

أأفضح جارتي واخوان جاري معاذ الله افعل ماحييت (٦٨).

ولقبح ذلك الفعل وشناعته ، دعا حاتم الناس الاياتوا مثله مقسماً:-

فاقسمت الامشي على سر جارتي
يد الدهر مادام الحمام يغرد (٦٩).

ومن عفته انه كان يدعو الى حسن التصرف والعقل فيجسد بعض المفاهيم الخاصة بكيفة السلوك تجاه الجيران ، فيرى ان رعاية الجار واجبه لذلك نجده حريصاً على كفاية الجارة حاجاتها في غياب بعلها خاصة ، ويدعو الى ضرورة الامتناع عن زيارتها عند غيابه ليحمي كرامتها ويصون عرضها فيقول :-

لانطرق الجارات من بعد هجعة مـــن الليل الابالهدية تحمل
ولايلطم ابن العم وسطَ بيوتـــنا ولانتصبى محرسة حين يغفل (٧٠).

وكان حاتم يريد ارساء قواعد اداب الطعام واساليب احترام الضيوف في مجتمعه فاكد على ضرورة مؤاكلة الضيف وترك المجال له لاخذ كفايته من الطعام فكان يريد من صاحب البيت ان يتصف بالعفة والقناعة ليؤثر الضيف على نفسه فقال:-

لقد كنت اطوي البطن ، والزاد يشتهى مخافة يوما ان يقال : لئيم (٧١).

## أفكـــاره في الكـــرم خاصـــة

والجود قيمة خلقية اخرى ، تجسدت في شعر حاتم ، من غير افتخار او تفاخر ،وهي صفة متاصلة فيه ، وعلى الرغم من انها جعلته مضرب مثل قائم بين الناس حتى يومنا هذا ، فقدا اراد تجسيدها في سلوك الناس ليكونوا كرماء ويتراحموا فيما بينهم فقدمها لنا بصورة فنية تبدو جلية واضحة في الحوار الدائر بينه وبين زوجاته خاصة ، كما سيتضح كلما تقدمتا في البحث ، وهو بذلك يحاول تاصيل هذه الصفة عند ابناء مجتمعه . لتكون عادة من عاداتهم وسجية من سجاياهم ، فيقدم صورة ايثارية يرجو بلورتها في مجتمعه ليؤثر احدهم الاخر على نفسه فيعطي ويتخلى عما في يده وهو اليه احوج ، فيقول :

ولو شهدتنا بالمزاج لايقنت  على ضرنا انا كرام الضرائب (٧٢)

وخير ما يمثل لنا هذا الجود صورة السلوك الامثل التي يقدمها لنا في نحره ناقته (افعى ) لضيفه وقد جاء في سنة أمحلت واجدبت كان الناس فيها يحافظون على زهيد القوت ، بينما نجده لايمسك كما امسكوا فنحر ( الافعى ) فقال :-

لما رايت الناس هرت كلابهم  ضربت بسيفي ساق الافعى فخرت(٧٣).

فهو لكرمه ونبله اللذين يزينهما عطاوه السخي يطعم ضيفه في وقت الجدب مالايطعمه الضيفان وقت الرخاء فكان فعله شاهداً مثبتا لقوله:-

الم تعلمي اني اذا الضيف نابني  وعز القرى اقرى السديف المسيرهدا (٧٤).

الاخلاق ، ورغبته في اتيان حميد الفعال ، لانه بعمله هذا "يكشف الضر عن الانسان ويسد خلته ، ويضع عنه ينوء به كاهله "(٧٥).

وكان يدعو الى عدم رد السائل مهما بلغ العسر بالمسؤول وتلك قيمة خلقية لها اثرها الفعال في تازر ابناء المجتمع وتماسكهم مما يجسد ذلك قوله :-

أماوي اني لااقول لسائل  اذا جاء يوماً :حل في مالنا تذر (٧٦).

وكان الرجل يقدم صورة المثل الاعلى ليربي النشء عليها فيدرك ما يقاسية الناس في ايام القحط ، فيرسل اليهم –دون ان يسألوه –مايدفع عنهم عادية الجوع ومن ذلك قوله :–

واني لاقري الضيف قبل سؤاله واطعن قدماً والاسنة ترعف

ويقول :

واني لاغشي ابعد الحي جفنتي اذا حرك الاطناب نكباء حرجف (٧٧).

فنراه في هذا يدعوا الى التمسك بالجود وهو فيه طبيعة فيرحب بالناس مهللاً بهم ، ويصنع المستحيل لجلب نظرهم اليه . وله في ذلك وسائل عديدة منها ايقاد النيران بمكان مرتفع فينير بها طريقهم ويهديهم الى ضيافته وقراه ، وكان يوقد بالغليظ الجزل من الحطب لتتوهج النار ابداً وتعلو ليراها الناس الذين اضلتهم الصحراء ومنه قوله :

ولكن بهذاك اليفاع فاوقدي بجزل اذا اوقدت لابضرام (٧٨).

ويؤكد حاتم قيمة خلقية اخرى من خلال جوده وكرمه ، فكان يسعى الى بلورة مبادىء سامية يلتزم بها العربي في كرمه وعطائه وتتخلص في العطاء السخي الذي يصل القريب بالبعيد بحيث يجود العربي باطيب مايملك فلايذكر المعطي بايادية ونعمه عليه مبتعدا في ذلك كله عن المن الذي يجرحه ويؤذيه ، وفي ذلك يقول :–

ولامن عليك بها ، فاني رايت المن يزري بالجزيل (٧٩).

وقد كان الدكتور النويهي لايرى من جود حاتم –الذي قدمنا طبيعته ودوافعه – سوى هذا الجانب المسرف الذي نهى عنه الاسلام (٨٠). او المفاخرة والتنافس في اكتساب المجد (٨١). وذلك بالادلة التي ساقها ، على ان جود حاتم كان تصنعاً اندفع فيه طلبا للذكر والثناء وليس من دواعي بحثنا –هنا– التفصيل بهذا الموضوع .

وخلاصة القول اني ارى مايراه الدكتور عادل سلمان جمال مفصلا ومناقشاً (٨٢). في " ان الدكتور النويهي قد اشتد على حاتم فتسرع في تصيد بعض النصوص للدلالة على ان جود حاتم كان تصنعا تكلفه طلباً للثناء والذكر ، وهي نصوص لاتثبت للنقد عند التمحيص"(٨٣).

ولعل الدكتور نوري حمودي القيسي يشير الى كلام الدكتور النويهي حين قال : " وقد حاول البعض ان يفسر كلام حاتم بالحرص على الشهرة والدعاية ارضاء لكبرياء نفسه ، واغتباطا لانانيته ، واستقبالا لالفاظ الشكر . ولااجد نفسي مضطر ا للرد على هؤلاء لان قراءة اخباره والاستزاده منها، والتفهم الحقيقي لهذه النفس التي كانت تنطلق بكرمها من اعماق خيرة ، وتستمد الجود من بيئة زاخرة بفضائل الكرم هي الرد الوحيد عليهم "[٨٤]. وانا اذ اطلع على هذه الاراء وامحص هذه الاحكام ارفض رفضا قاطعا ماجاء به الدكتور النويهي وارى ان حاتما كان يريد -بالاضافة الى ايمانه وقناعته بهذه القيمة الخلقية النبيلة -ان يغرس فضيلة الجود في مجتمعه لانها تعبرا تعبيرا صادقاً عن اخلاق اجتماعية تتطلع الى روح انسانية عامة حاول ان يقدمها لنا بصورة خيالية فنية غير مباشرة ويتضح لنا هذا الاسلوب في قصائده الحوارية مع زوجته ماوية والنوار التي كان يبغي منها الاقناع وهذا الاقناع هو الذي اوجد في شعره البساطة والوضوح والتركيز حتى قربه من الحكمة .

## دراســـــة تحليليــة فنيــة

فقد اتجه حاتم في قصائده الحوارية اتجاها قصصيا حاول فيه ان يلتزم الاسلوب غير المباشر للوصول الى غايته .

وفيما ارى ان الحوار يمثل صورة فنية غير واقعية كان يقصد من ورائها حاتم سبر اغوار النفس البشرية ليتمكن من التاثير عليها من اجل ان يتمثل الناس هذا الخلق الكريم ويجسدوه في سلوكهم اليومي ليخدم الانسان اخاه الانسان وينقذه من مواقفه الصعبة التي ربما يمر بها .

وقد كانت تبعث من خلال هذا الحوار الداخلي صفة الكرم العربي المتأصلة في نفس حاتم والمتشر به بلحمه ودمه وقد تظهر هذه الصفة النبيلة المتأتية من ايمان الشاعر وعقيدته بها من خلال اسلوب ( التجريد) [٨٥]. الذي استخدمه واعتمد عليه ليؤكد في نفسه صفة مشهورة فمحاورته للمراة التي تظهر خوفها من الانفاق صورة فنية جسدها خياله الشعري ليؤكد من خلالها صفة الكرم والجود ، ولولا هذه الصورة الفنية الموحية لما كان لهذا الحوار من معنى - لان المراة -فيما اعتقد -لاتقل شأناً عن الرجل في اكرام الضيوف والجود عليهم سواء كان ذلك في عصر ماقبل الاسلام ام غير ة ، كسفانة ابنة حاتم نفسه او غيرها ، واذا ماتأملنا بعض النصوص نجدها تشهد بدور المراة في هذا المجال ، ومن ذلك قول سالم بن قحفان يخاطب

زوجته :-

لاتعذليني في العطاء ويسري لـــكل بعير جـــاء طالبه حبلا (٨٦).

فتجيبه

حلفت يميننا يابن قحفان بالذي تكفل بالارزاق في السهل و الجبل

الى قولها:-

فأعط ولاتبخل لمن جاء طالباً فعندي لها خطم وقد زاحت العلل (٨٧).

وكثيرا مانجد في الشعر النسائي مفاخرة لهن بالجود والكرم وقد رثين الجواد باكيات جوده وعطائه.

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مشاركة المراة للرجل في هذه القيمة الخلقية النبيلة ، وهذا لاينفي وجود التباين والاختلاف بينهما احيانا ، وقد صور الشعراء -كحاتم مثلا -النقاش والجدل لاختيار النمط الاحسن في الانفاق والاقدام والسعي فالمراة تريد من زوجها ان يسلك سبيل الاعتدال وهو مايريده الرجل ايضاً الان وجهات النظر تختلف فيه .

وقد اعتمد حاتم هذا الاسلوب مجسدا ماكان يجول في فكر الزوجة من حرص وابقاء على الحياة ووهو في هذا جاء باسلوب فني يتجلى فيه الصدق الواقعي والفني على حد سواء " لان التجريد الواعي لحقيقة النفس يوحي بما لايقبل الشك بماتحملة هذه النفس من خصائص وماتحولة من اثبات لها وهذه المحاولة لاتخرج عن الاطار المرسوم والمحدد، وهذا التجريد يوحد الاشتات المتناثرة من اجزاء هذه الخصائص ويلم اشتاتها المتناسقة ليصنع منها الهيكل العام الذي يعكس من خلاله اصالة تلك الصلة وبعد عمقها في نفس الشاعر (٨٩).

وقد استطاع حاتم الطائي بوساطة هذا الحوار ان يلتمس الطريق السليم للكشف عن صفاته البارزة باسلوبها غير المباشر ليرسم صورته الاصلية ، وقد استطاع ان يصور ارض الواقع باسلوب فني مشحون بشحنة شعرية معبرة ، وان يجرد من نفسه " شخصية المراة اللائمة ليجعلها الصورة الرافضة لسلوكه القانع بادائه "(٩٠). الذي يخلق الجو المناسب والعتاب المستمد من الحوار الداخلي الذي يتخذه وسيلة يرتكز عليها لايضاح الحقيقة الواقعية التي امن بها وجسدها في شعره .

وهنا نجد حاتما الطائي يؤكد وسيلة اللوم ويحصرص علىاستخدام الفعل " لام" ومشتقاته في حواره الداخلي كما يحرص ان يكون هذا اللوم في الليل وبعد ان يحجب الظلام الرؤية

الواضحة فنجد الشاعر في مثل هذه اللحظات تتوثب في نفسه عوامل الدعوة في ظل هذا الصمت الرهيب الى تاكيد ظاهرة اللوم بشكل واضح الى حد التجريد الذي يمثل التركيز الصادق لظاهرة الكرم العربي، وقد اصبحت هذه الخصيصة متميزة ، خبرها الشاعر خبره واعية وهضمها هضماً حسياً مدركاً واستطاع ان يجعله فلسفة يدافع عنها وفق منطق معقول وان يلتزم بها التزاما غير محدود ويبذل من اجلها مايحرص الاخرون على جمعه "[٩١]. وذلك لتتأصل في نفوس المجموع من جهة وتخدم الافراد من جهة ثانية .

وقد أخذت صورة التجريد عند حاتم الطائي ظاهرة اللوم التي حملت المرأة على لومه بسبب بذله وعطائه وكرمه فستخدم الالفاظ الشعرية الموحية فكان يوافقه بين تسلسل الافعال التي تمثل التبرير المعقول لدى الشاعر وتحمله على الدفاع بشكل تقريري عن هذا السلوك، والايمان المطلق به غير ان هذه الافكار الحوارية التي تنطلق من عقيدة ذاتيه نجدها تتناثر بابيات شعرية في بعض قصائده وقد توحي بعمق الفكرة الشاعرة في نفسه فنجده يقول :-

وعاذله هبت بليل تلومني وقد غاب عيوق الثريا فعردا
تلوم اعطائي المال ضلة اذا ضن بالمال البخيل وصبردا

تقول: الامسك عليك فانني ارى المال عند الممسكين معبدا
ذريتي ومالي ان ما لك وافر وكل امرىء جار على ماتعودا
ذريتي يكن مالي لعرضي جنة يفي المال عرضي قبل ان يتبددا
ارني جوادا مات هزلا لعلي ارى ماترين او بخيلا مخلدا
والافكفي بعض لومك واجعلني الى رايي من تلحين رايك مسندا
يقولون لي اهلكت مالك فاقتصد وماكنت لولا ماتقولون سيدا [٩٢].

ففي هذه الابيات حوار بين حاتم وبين المراة التي تحرص على امساك المال فنجد هناك تغارضاً بين نفسه الجوادة وبين هذه المراة التي لايهمها سوى نفسها في هذه الصورة، واننا عندما نتامل هذه الابيات ومادار فيها من حوار لانجدهُ الا انبثاقاً صادق الرؤية ونابعاً من صميم ايمان الشاعر بان هذه الصفة صفة الكرم صفة البذل والعطاء هي السمة التي تجعل الانسان سيدا في قومه وهذا مايوضحه البيت الاخير مما عرض من شعره . ثم يخاطب الزوجة فيدعوها عن

الكف عن لومها ويقول لها "مالك وافر وان هذا البذل والانفاق لايضر بها ولايقتر على ماتريده من حاجات ثم نراه يدعو الى غرس هذه الصفة وجعلها عادة من عادات مجتمعه فيقول لها "

" وكل امـرىء جـار على ماتعـودا"

فهذه الصفة ينبغي ان تكون عادته ولايستطيع ان يغادرها .

وهي صفة لابد لها ان تتاصل في نفوس ابناء المجتمع فشيع بها الفضيلة عند العربي الذي لايهمه قوته بقدر مايهمه الضيف ، ويسترسل في تاكيده لها فيعرف بان هذه الصفة لاتضر في الرجل الجواد ولاتكدر في حياة عائلته فيقول:-

ارني جوادا مات هزلا لعلني ارى ماترين او بخيلا مخلدا (٩٣).

ويريد في هذا البيت ان يقنع كل زوجة يزعجها جود زوجها مستخدما اسلوب الحكمة – فيقول : هانحن لم نجد جواداً هلك جوعاً ولم نسمع عن بخيل خلد .ولذلك فما يرجو من الزوّجة _هنا_ الا ان تضم صوتها الى صوت بعلها للفوز بكسب رضا الناس ومودتهم.

ومما يوكد هذه العادة المتاصلة عند حاتم والمغروسة في نفسه والمعربة عن رغبته الصادقة وموهبته الخلاقه للبذل والعطاء والاقراء داعياً الى تربية النشىء عليها مقدماً هذه الدعوة باسلوب المثل الاعلى والقدوة الحسنة قوله:

وقائلة اهلكت بالجود مالنا ونفسك حتى ضر نفسك جودها
فقلت دعيني انما تلك عادتي لكـل كـريم عادة يستعيدها (٩٤)

ويبرز الشاعر في البيتين المتقدمين لوم زوجته وعدم اذعانه لها فهو يرى ان جوده ماهو الاصورة من صور التربية الاجتماعية التي يحتاجها المجتمع العربي فيرفع قيمتها فوق قيم الحياة المادية كلها.

ويقول في قصيدة اخرى مخاطباً زوجته نوار:

مهلا نوار اقلي اللوم والعـذلا ولاتقـولي لـشيء فات مـا فـعلا
ولا تـقولي لمال كنت مهلكـه مهلا وان كنت اعطي الجن والخبلا
يرى البخل سبيل المال واحـدة ان الـجواد يرى في مـاله سـبلا
ان البخل اذا مامـات يتبـعـه سوء الـثناء ويحوى الوراث الابلا

فاصدق حديثك ان المرء يتبعه ماكان يبني اذا ما نعشه حملا
ليت البخل يراه الناس كلهم كما يراهم ولا يقري اذا نزلا
لاتعدليني على مال وصلت به رحما وخير سبيل المال ما وصلا
يسعى الفتى وحمام الموت يدركه وكل يوم يدني للفتى الاجلا (٩٥).

وفي هذه الابيات ايضاً تتواصل الصورة الفنية لدى الشاعر مستخدما اسلوب الاقناع من اجل الغرض نفسه فنجد الحوار قائماً بينه وبين زوجته نوار فنراه يلتمس منها ان تقلل اللوم والعتب فيما بذله واعطاه من الاموال ونجده -كذلك- يحاول المقارنة الجدية بين الكريم والبخيل فيقول لها ان البخيل يرى سبيل المال واحدة ، وكأن هذه الاموال لاتجمع الا اذا اكتنزت وضن بها على الاخرين واذا انفقها فلا تجمع مرة اخرى لان طريقها واحدة ومن ثم فلا معوض لها لكن الكريم الجواد على خلاف ذلك فانه يرى في ماله سبلاً ولذلك فما عليه الا ان يجود بهذه الاموال وان يتوسع في بذله وعطائه معتقداً بان ماله يعوض بطريقة او باخرى ومن مصادر شتى ،فهذه الاموال تنفق ويحصل على غيرها، اذن فلا مانع من التسهيل للناس وقضاء حاجاتهم

وان تاكيده على صفة الكرم وشوقة اليها جعله يتوسع في مقارنته هذه فيقول : البخل لايقرى اذا نزل اما الكريم فهو على العكس منه ، ويطلب من نوار الاتلومه على انفاقه هذا لانه بهذا البذل وهذا الانفاق يديم الصلة ،وخير المال ما وصل به ومن ذلك نجد الشاعر بالرغم من جاهليته بأتينا بالحكم والعبر التي تجسد معالم المروءة والاخلاق والصفات الحميدة الفاضلة لدى الانسان العربي حيث نجده يقول :-

يسعى الفتى وحمام الموت يدركه وكل يوم يدني تلقى الاجلا(٩٦)-

فنجده يعرب عن صدقه النفسي ويقول : بان المال غاد ورائح ويجب على الانسان ان يعمل الخير ويسعى الى ترك ذكره الحسن الطيب في الدنيا لانه ما الانسان الاحديث بعده .
لذلك نجد ان هذا الحوار المنبعث من نفسه الصادقة ماهو الاصورة فنية ملحة الى تجسيد صفة الكرم اولا ومحاولة اقناع العواذل بان هذه الصفة ، صفة اخلاقية سامية لها ابعادها ومضمونها الخلقي الانساني للانسان العربي الاصيل ثانياً .

وفي قصيدته الاخرى نلاحظه يتوسع في خياله الشعري فيرسم صورة فنية لكبر فنجده لايكتفي بعاذله واحدة وانما يتجاوزها الىعاذلتين تلومانه المال وانفاقه فيقول:

وعاذلتين هبتا بعد هجعة تلومان متلافاً منبدا ملوما
تلومان لما غود النجم ضلة فتى لايرى الاتلاف في الحمد مغرما
فقلت وقد طال العتاب عليها ولوعذراني ان بتينا وتصرما
الالا تلومان على ما تقدما كفى بصروف الدهر للمرء محكما
فانكما لامامضى تدركانه ولست على ما فاتني متندما (٩٧) .

وفي هذه الابيات نجد الشاعر يلتمس العذر ويخلق الاسباب ويورد الحكمة ويثقل شعره بالعبر ، ليساعدة كل ذلك في غرس صفة الكرم- تلك الصفحة المتشربة بلحمه ودمه – بنفس كل انسان وعائلته وكب حبها لصفة البذل والعطاء فيقول "وكفى بصروف الدهر محكما" اذ يجعل الدهر هو الحكم بينه وبينهن ويؤكد حبه للكرم فيقول – ايضاً – "ولست على ما فاتني متندما"

وهكذا نستنبط فلسفة حاتم وتتضح ملامح سلوكه من خلال صفة التجريد التي افردها من نفسه والتي جعلته ذاتاً خاصة لها ميزاتها الشاخصة الواضحة لدى الجميع فيما يدعو اليه ويرجو شيوعه في مجتمعه .

كما نجده على المنوال نفسه في قصيدة اخرى يخاطب بها زوجته ماويه موكداً لها ان المال غاد ورائح وانه لايشفع ولاينجيه من الموت فالمرء لانجلد الابما اثر عنه من كرم وبذل ،فيجب على المرء ان ينفق ماله في الخير وفي اقالة الناس من عبراتهم بدلاً من ان يبذله في احتساء الخمرة واللعب بالقداح ،ويمضي الشاعر في هذه القصيدة بتعداد ماثر ينبغي ان يتربى عليها المجتمع لما فيها من قيم اخلاقية نبيلة وروح انسانية عظيمة ، فهو لايظلم ابن عمه بعد ان فقد إخوته، كما انه لايغتر بمال،ولا يذل بفقر،وقد يتخلل هذه القصيدة شعور عميق بقلة قدر المال ، وحتمية الموت وسخف من يغتر بماله ويعتصم به ويرى فيه كل خير من خيرات الوجود دون ان يفطن الى انه سيرحل الى القبر ويخلفه اثره والمرء الحيكم يحول ماله الى اغاثة المهوف واطعام الجائع فيغدو تجسيداً للمحبة الانسانية والتعاون بين الافراد ليتجاوزوا رحلة الحياة الزائلة المولية .

وهذه القصيدة كمعظم قصائد الطائي تفتقر الى التكثيف الفني اكان في تخير اللفظة او في تجسيد الصورة ونقل المعنى ، فعباراته يسيرة ،فهولايخلق ولايبالغ كما ان شعوره بالاشياء لايعدو الحدود القريبة المتدنية ، واذا كان له من شعور يؤثر فذلك عائد الى معانيه الخارقة

والاعمال المعجزة التي يصفها بشكل موح يتجاوز فيه الواقع الى تجيد صورته الفنية المستنده الى اسس تربوية واجتماعية لابد منها ،فيقول :

أماوي قد طال التجنب والهجر وقد عـذرتني من طلابـكم العذر
أماوي ان المال غـاد ورائح ويبقى من المال الا حاديث والذكر
أماوي اني لااقـول لـسائـل اذا جـاء يوماً حل في مالـنا نذر
أماوي امـا مـانع فـمبيـن واماعطـاء لايـنهنهه الـزجـر
أماوي مايغني الثراء عن الفتى اذاحشرجت نفس وضاق بها الصدر
أماوي ان يصبح صداي بقفزة من الارض لامـاء هـناك ولاخمر
تري ان مااهلكت لم يك ضرني وان يـدي مما نـجلت بـه صفر
أماوي انـي رب واحـد امـة أجرت فـلا قـتل علـيه ولااسـر
وقد علم الاقوام لو ان حـاتماً أراد ثـراء المـال كـان له وفر
وانـي لا الو بمـال صنيعـه فـاوله زاد واخـره فـخـر
يفك بـه العاني ويؤكـل طيباً وما ان تعريه القداح و لا الخـمر
ولا اظلم ابن العم ان كان اخوتي شهوداً وقد أودى باخـوته الدهـر
غنينا زماناً بالتصعلك والغنـى كما الدهر في أيامه العسر واليـسر
لبسنا صروف الدهر لينا وغلظة وكـلا سـقاناه بكأسيـهما الدهـر
فما زادنا بـاواً علـى ذي قرابة غنانا ولاازرى باحسـا بنا الـفقر
فقدما عصيت العاذلات وسلطت على مصطفى مالي انا ملي العشر(٩٨).

وعندما نتأمل هذه القصيدة نجدها تفيض بالمعاني الأخلاقية الشريفة وبالنبل والفضائل السامية ، وقد تلفت نظرنا ظاهرة الحوار الذي يؤكد الشاعر فيها على زوجته ماوية ، وانه قد جاء معتذرا ويطلب منها ان تكف عن ملامته، ويسترسل في حكمة فيقول

اماوي ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الاحاديث والذكر (٩٩).

فيقول لها ان المال مقبل ومدبر ، فاذا ما انفق في الكرم والخير فانه يبقى لصاحبه حسن الاحدوثة والذكر الطيب فيؤكد لها:- حقيقه ، وهي ان الاموال الكثيرة لايمنع عناالموت فيقول:-

اماوي مايغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر (١٠٠).

فكرمه طبع فيه ، وميزة ممتدة الجذور وعميقة في نفسه ، ولذلك فعادته اقراء الضيوف، والتزام البذل والعطاء ، وقد علمت الاقوام جميعا بهذه الصفحة المتاصلة في نفسه ، فهو يدعو من خلالها الانسان الى البذل والعطاء في اليسر والعسر بما يملك بانفس مايملك .

وعندما نتامل هذه القصيدة مرة اخرى ، تلفت نظرنا ظاهرة اخرى هي ظاهرة "التكرار " الملحة لكلمة (ماوية) وهذا التكرار ان دل على شيء فانما يدل على مدى الخلق النبيل الذي يتحلى به حاتم ، فيما يدعو اليه من ضرورة التوارد القناعات على مستوى العائلة والمجتمع بالعطاء السخي ، فرجع يتلمس الموافقة عليه عن رضا وقبول العائلة ومن شريكة الحياة على وجه التحديد فلجأ الى اسلوب الاقناع وسرد الحكم والعبر التي تصل الى عواطف الزوجة وتهز شعورها لتقتع عن رضا نفس وراحة ضمير ايمانا منه بان هذا القرى اذا صدر عن نفس راضية مؤمنة به فانه يعود عليه بالخير ، ويبعث الوداد والحب في نفس ضيفه ، ويعتقد بان القرى اذا صدر عن نفس كئيبة غير راضية فانه يعود على الناس المكرمين بالمن والاذى من ذلك نلاحظ سعة النبل والخلق المنشود لدى حاتم الطائي ، فهو يريد اولا ارضاء الزوجة باعتبارها تقاسم الرجل الحياة ، ويرغب ثانيا في بعث صفة الكرم الخالصة في نفس مكرمه وما الحاحه على زوجته ماوية –في هذه –القيصيدة وتكراره لاسمها الاصورة فنية صادقه كان يدعو من خلالها الى حب الناس واكرامهم وقضاء حاجاتهم.

وشعر حاتم في الكرم لايعتمد على المبالغة والغلو بل يعبر عن تجربة أصيلة خصبة وراي في المال ولدته ممارسة حقيقية ، فهو يذكر بوضوح انه جرب الغنى وجرب الفقر ولكنه كان يملك نفسا كبيرة،بحيث لم يجعله الغنى يزهو او يبطر ، ولم يسبب له الفقر احساسا بالقهر او التدني (١٠١).

وهذه كما نرى قيم اخلاقية نبيلة كان يجدها على اساس المبادى الانسانية السامية التي يحتاجها المجتمع في كل زمان ومكان ، ومن ذلك قوله :-

عنينا زمانا بالتصعلك والغنى كما الدهر في ايامه العسر واليسر
فمازادنا باوا على ذي قرابة غنانا ولاازرى بأحسابنا الفقر(١٠٢).

وهو يوضح هذا الموقف من المال بقوله انه رب المال وليس عبداً له فقال :-

اذا كان بعض المال رباً لاهله فاني بحمد الله مالي معبد(١٠٣).

## الهوامـــــــش

١-المعجم الفلسفي : د .جميل صليا :٤٨/١.

٢-المذاهب الاخلاقية ، د .عادل العواص :١٩.

٣-الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية ، د .ناجي التكريتي : ٥٦ .

٤-المعيار الاخلاقي ، عباس ثابت حمود : ١١.

٥-تاج العروس : مادة (ادب).

٦-كشاف اصطلاحات الفنون ، التهانوي :٥٣/١.

٧-تاريخ ادب العرب ، الرافعي :١/ ٣١.

٨-ينظر : الجامع الكبير في صناعة المنظومة من الكلام والمنشور ابن الاثير :٤٥، واسس النقد الادبي عند العرب ، احمد احمد بدوي : ١٧.

٩-ينظر اصول النقد الادبي :ص١٥.

١٠-ينظر : اصول النقد الادبي ص٨.

١١-ينظر :م. ن ص٨.

١٢-ينظر: م. ن. :ص٢٠٩.

١٣-المعيار الاخلاقي عباس ثابت حمود :١٩.

١٤-المعيار الاخلاقي ، عباس ثابت حمود : ص٧٩.

١٥-وظيفة الادب:٨٦ومابعدها.

١٦-فن الشعر، د.احسان عباس : ١٧٩.

١٧-الادب وقضايا العصر (مجموعة مقالات )، ترجمة عادل العامل: ٤٧.

١٨-النقد الادبي ، احمد امين : ١٨٧.

١٩-ينظر: قواعد النقد، كرمبي :٤٦.

٢٠-ينظر: المعيار الاخلاقي ، عباس ثابت حمود :٨٣.

٢١-النقد الفني ،ستوليتين :١٨٧ .

٢٢-نقد الشعر ، قدامه بن جعفر : ٥٠-٥٣.

٢٣-مفهوم الشعر في التراث النقدي ، د. جابر عصفور : ٧٣.

٢٤-نهاية الادب ، النويري:٢٠٥/٣، وينظر: القيم الخلقية ، فاضل عواد، ١٣.

٢٥-عدينا: صرفنا اليكم ، مئة معا ارادتها المئة من الابل فدية لاخية الاسير ينظر:ديوان سلامة بن جندل ، فخر الدين قباوة: ٢٠٤-٢٠٥.

٢٦-ديوان الحادرة:ناصر الدين الاسدي :٨٣.دخل امره دخلا: فسد داخله والدخل: العيب والريبة.

٢٧-ديوان ذي الاصبع العدواني ، عبد الوهاب العدواني ومحمد الدليمي : ٧١-٧٤.

٢٨-معجم الشعراء ، المرزباني: ٢٥٦.

٢٩-نهاية الادب ، النويري: ٢٧٢/٣، وديوان المعاني ، العسكرية : ١٧١/١.

٣٠-الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، احمد محمد الحوفي : ٣٦١.

٣١- ديوان المثقب العبدلي حسن كامل الصيرفي (٢٥٥).

٣٢-ينظر: القيم الخلقية ، فاضل عواد :٢٢.

٣٣-السيرة الحلبية : ١٤/١.

(*) ديوان زهير ابن ابي سلمى :١١٠-١١١.

٣٤-ينظر : المؤتلف والمختلف ، الامدي : ٢٢.

٣٥-طبقات الشعراء ، ابن سلام :٣١.

٣٦-الاغاني -١٧ : ٣٦٤-٣٦٥ وينظر : السيرة النبوية لابن كثير :٢١٣/٢-وينظر تهذيب ابن عساكر :٤٢١/٣.

٣٧-معجم المقاييس : ١٧١/٥-١٧٢ وينظر : مقدمة ديوانه ، ٥٩ تحـ : د. عادل سليمان.

٣٨-النهاية في غريب الحديث: ١٦٦/٤.

٣٩-معجم المقاييس :١٧٢/٥، اللسان (ك.ر. م) .

٤٠- تنظر مقدمة الديوان: ٥٩ تحـ د.عادل سليمان .

٤١-العقد الفريد ،٢٢٦/١.

٤٢-عند حديثا عن مكارم الاخلاق في عصر ماقبل الاسلام.

٤٣-اللسان (ك.ر.م) .

٤٤-الاغاني، ج١٧/ص٣٦٦.

٤٥-الديوان :٢٦٤.

٤٦-الديوان: ١٥٩.

٤٧-تهذيب ابن عساكر :٣/٤٢٤.

٤٨-الديوان :٢٢٤.

٤٩-الديوان:١٨٧.

٥٠-الديوان:٢٦٢.

٥١-اسد الغابة لابن الاثير :١/٣٨٨.

٥٢-الموفقيات :٤٦١.

٥٣-الديوان:٢١٥.

٥٤-البيان والتبين:٢/١٤٥.

٥٥-مقدمة الديوان :٩٧.

٥٦-الديوان:٢١٢-٢١٣.

٥٧-الديوان:٢٢٥.

٥٨-الديوان:٢٥٧.

٥٩-الديوان :٢٠٥.

٦٠-الديوان:٢٢٥.

٦١-الديوان :٢٠١.

٦٢-الديوان :٢٦٠.

٦٣-الديوان :٢٣٧.

٦٤-الديوان :٢٣٧.

٦٥-الديوان:٢٣٨.

٦٦-اللسان:مادة (ع .ف.ف) .

٦٧-الديوان:٢٠٤.

٦٨-الديوان:٢٢٣ .

٦٩-الديوان:٢٦٣.

٧٠-الديوان: ٢٣٢.

٧١-الديوان:١٨٤.